العقيدة أولًا لو كانوا يعلمون

للعلامة الشيخ

محمد أمان الجامي

رحمه الله

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا*﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١]. أما بعد، أيها الإخوة الحضور:

أحييكم بتحية الإسلام فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

ثم أما بعد:

فإن حديثي معكم في هذه الليلة العقيدة أولًا.

العقيدة التي نتحدث عنها لها مفهومٌ لغوي ومفهومٌ اصطلاحي.

العقيدة لغةً: بمعنى العقد ضد الحل، ويستعمل اللفظ في العقد الحسي، كعقد الحبل، ويستعمل في العقد المعنوي كعقد النكاح وعقد البيع وعقد العهد، وغير ذلك من العقود المعروفة.

وأما في الاصطلاح المعنى الاصطلاحي يؤخذ من هذا المعنى اللغوي، وفي اصطلاح الشرع: العقيدة العزيمة الصادقة الجازمة التي لا يتردد فيها المرء أو لا يتطرق إليها التردد في المطالب الإلهية في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته، وفي إفراده بالعبادة، وفي النبوات، وفي الأمور الغيبية، هذا الاعتقاد الجازم بهذه الأمور هو الذي يسمى بالعقيدة، الأصل أن الإنسان لا يعيش بدون عقيدة إذا كان يريد أن يحافظ على إنسانيته، سواءٌ كانت العقيدة عقيدةً سليمةً، أو عقيدةً منحرفة، لأن الإنسان كما يقال علماء المنطق: حيوانٌ ممتاز، امتاز بالنطق والفهم، والعقيدة، ومن تخلى عن العقيدة سواءٌ كانت سليمةً كالعقيدة التي جاء بها الأنبياء ودعا إليهم أتباعهم، أو منحرفةً كالعقيدة المخالفة أو العقائد المخالفة لما كان عليه الأنبياء، من تخلى عن هذا الاعتقاد سواءٌ كان سليمًا أو منحرفًا فقد تنكر لإنسانيته، فأصبح في عداد الحيوان، لأن الحيوان هو الذي لا عقيدة له، والإنسان لا بد له من عقيدة.

والعقيدة التي نتحدث عنها تعني الإيمان، الإيمان بالله؛ لأن الإيمان يتألف من قولٍ باللسان وعملٍ بالجوارح واعتقادٍ بالقلب، هذا الاعتقاد بمعنى أنه جانبٌ مهمٌ من جوانب الإيمان، لذلك إن الاشتغال بالعقيدة ليس من نوافل القول أو نوافل العمل، بل هو الأساس، الدعوة إلى العقيدة وتصحيح العقيدة أصلٌ من أصول الدين، بل إن ذلك هو الدعوة إلى الله، **الدعوة إلى الله يمكن أن نقسمها إلى قسمين:**

- دعوةٌ تأسيسية وهي دعوة غير المسلمين إلى الإسلام.
- ودعوةٌ تصحيحيةٌ إصلاحية، وهي تصفية العقيدة وتصحيحها ومراجعتها وتصفيتها مما قد يعلق بها من غبار الجاهلية.

وأما الدعوة التأسيسية فهي متاحةٌ لنا اليوم –بحمد الله تعالى– في بلادنا الإسلامية، قبل أن نضطر للسفر إلى خارج بلاد الإسلام لندعو غير المسلمين إلى الإسلام كما فعل سلفنا الصالح الذين كانوا يسافرون للدعوة إلى الله، إلى غير دور الإسلام، وقد يضطرون أحيانًا إلى الجهاد والقتال للدعوة إلى هذه العقيدة، ولكننا اليوم مع هذا الانفتاح العظيم

جاءنا في بلادنا أعدادٌ من غير المسلمين، فأُتيحت لنا فرصة الدعوة إلى الله، فرصة دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، بحيث لو قصرنا في ذلك وأهملنا دعوة غير المسلمين إلى الإسلام وهم بين أظهرنا نعتبر أنفسنا -بل يجب أن نعتبر أنفسنا- مقصرين في ديننا، وفي دعوتنا إلى الله، وقد كثر القوم بيننا، ومنا من وُفق وباشر دعوته إلى الإسلام، فأخذ كثيرٌ منهم يعتنق الإسلام، وإن كان في الأصل إنما جاؤوا لطلب الرزق، ولكن من وفقه الله منهم يدخل في الإسلام، هذه الدعوة تسمى دعوةً تأسيسية.

وهذه الدعوة ليس لها منظمةٌ إسلامية رسميةٌ تتبناها، كما يفعل غير المسلمين في دعوتهم إلى باطلهم، إلى نصرانيتهم، إلى يهوديتهم، إلى علمانيتهم، وماركسيتهم، لهم منظمات ولها نشاطات يعملون ليل نهار، وقد يعملون بمستوىً عالٍ للدعوة إلى النصرانية وهم يعلمون أن النصرانية نُسخت وبُدلت وأنها باطلة، يعلمون بطلانها، لكن مع ذلك هم أنشط منا في دعوتهم إلى باطلهم؛ أي من نشاطنا إلى حقنا وعقيدتنا السليمة، فأصبحت الدعوة إلى الله بالنسبة للمسلمين أمرًا ثانويًا، وبالنسبة لهم هو الأمر الأول والآخر بالنسبة لهم، بحيث إن رؤساء بعض الدول من الأوروبيين والأمريكيين إذا انتهت رئاستهم من انتهت مدة رئاسته خرج إلى ميدان الدعوة، وهو ما يسمى بالتبشير وهو التنصير، يتجرد ويتفرغ للتنصير، وكلكم تسمعون من يسمى بكارتر أحد رؤساء أمريكا السابقين وهو اليوم متفرغ للدعوة إلى النصرانية ليل نهار، إما على حسابه الخاص أو على حساب الكنائس العالمية النصرانية.

أريد أن أقول: إن القوم أنشط منا في الدعوة إلى باطلهم، مع اعتقادهم الجازم أن ما هم عليه باطل، ونحن في وقتنا هذا دعوة غير المسلمين إلى الإسلام أسهلٍ بكثيرٍ من أي وقتٍ مضى؛ إذ إن الناس فيما تقدم من الزمن كانوا يعيشون شبه منعزلين بعضهم عن بعض، وفي وقتنا هذا مع وجود هذا الانفتاح عرف غير المسلمين الإسلام في الغالب الكثير على حقيقته، وعرفوا محاسنه بهذا الاختلاط، وتأكدوا تمامًا أن الدين الإسلامي هو الحق، وفيما

مضى قد تخاف بعض الناس من اعتناق الإسلام أنه يسبب لهم الفقر، لما يلاحظون في كثيرٍ من المسلمين من الفقر المنتشر بينهم، لكن الآن تأكد القوم بأن الإسلام دين عزةٍ وشرف وغنىً، وليس دين فقر وذل، عُرف كل ذلك، إذا كان الأمر كذلك لا ينقصنا إلا العمل الجاد في إدخال القوم في ديننا، ونحن مقصرون في ذلك كما نلاحظ، ولا أنكر بهذا ما تقوم به بعض الجهات من دعوة العمال غير المسلمين إلى الإسلام وإدخالهم في الإسلام، ولكمننا نريد تنظيمًا إسلاميًا معتبرًا معترفًا به للدعوة إلى الإسلام، لأن القوم بين أظهرنا، هذه الدعوة نسميها الدعوة التأسيسية، فيجب أن يكون هذا الأمر على بالنا وبال شبابنا لأنه واجبنا؛ إذ هذه الدعوة وظيفة المرسلين من أول من أُرسل إلى أهل الأرض نوحٍ عليه السلام إلى خاتمهم وإمامهم محمدٍ عليه الصلاة والسلام، وأتباعهم، يقومون بهذه المهمة لأنهم ورثة الأنبياء، هذا بالاختصار ما نسميه بالدعوة التأسيسية.

أما الدعوة التصحيحية والإصلاحية فهي دعوةٌ بين صفوف المسلمين؛ لأن المسلمين وإن كانوا لا يتنكرون لعقيدتهم، بل يعتزون بعقيدتهم ودينهم، ولكن علق بعقائد كثيرٍ من جمهور المسلمين في كثيرٍ من الأقطار غبار الجاهلية، وحصل انحرافٌ خطيرٌ في جوانب في عقائدهم، فعلى طلاب العلم الدارسين للعقيدة في الجامعات الإسلامية التي تعتني بدراسة العقيدة أن يهتموا بتصحيح عقائد الناس، أكثر من اهتمامهم بأي أمرٍ من أمور الدين؛ لأن العقيدة هي الأساس، ومن صلحت عقيدته صلح عمله، فقُبل عمله، ومن فسدت عقيدته وانحرفت لا يُقبل له عملٌ عند الله، مع التفاوت في هذا الانحراف، لأن الانحراف قد يصل أحيانًا إلى الكفر والردة، وأحيانًا إلى نقصٍ في الإيمان.

فلنبدأ بجانبٍ من أهم الجوانب في هذا الباب، وهو تصحيح العقيدة في باب توحيد العبادة؛ بحيث تخلص العبادة لله وحده لا يشوبها شيءٌ من الشرك، لا من الشرك الأكبر ولا من الشرك الأصغر، فطلاب العلم لا يحتاجون إلى التفصيل والتبصير بالنسبة للفرق بين الشركين؛ الشرك الأكبر وهو أن تجعل لله ندًا شريكًا تمنحه كثيرًا من صفات الخالق،

وتشبه المخلوق بالخالق، بأن تدعوه وتستغيث به، وتذبح له، وتجأر باسمه وتتوكل عليه أيًا كان، هذا النوع واضحٌ لدى طلاب العلم، ولكننا نمر مرورًا.

ومن مات على الشرك الأكبر حكمه حكم الكافر الأصلي؛ لأن المشرك بالشرك الأكبر يرتد، فيكون من أهل النار خالدًا مخلدًا، ومن عقيدة أهل السنة اعتقاد ذلك، اعتقاد أن من مات كافرًا ومشركًا تحرم عليه الجنة.

وأما الشرك الأصغر: فهي ذريعةٌ من ذرائع الشرك الأكبر، ذلك كقول الإنسان لإنسانٍ مثله: ما شاء الله وشئت، أو لو لا الله وأنت، أو يحلف به، الحلف بغير الله في الأصل من الشرك الأصغر، ولكن قد ينتقل إلى الشرك الأكبر ويُعطى حكمه بما يصحبه من المعاني التي تتعلق وتُلاحظ في الذي يحلف؛ إذا حلف الإنسان بغير الله جريًا مع العادة والبيئة غير معتقدٍ في المحلوف به النفع والضر فهو من نوع الشرك الأصغر، وأما إذا انتقل إلى الاعتقاد في المحلوف به بأنه لو حنث أنه يضره، فعظمه تعظيمًا وخافه خوفًا كما يخاف من رب العالمين، فيصبح من الشرك الأكبر، وهذا يقع فيه كثيرٌ من عامة المسلمين في كثيرٍ من الأقطار.

ونحن عند ما نتحدث عن الشرك بأنواعه لا نعني مجتمع هذا البلد فقط، ولكننا كأننا نتحدث إلى جميع المجتمع الإسلامي لأنهم جسدٌ واحد، في كثيرٍ من الأقطار يصل الغلو في الصالحين إلى درجة أنه لو طُلب منه أن يحلف بشيخه فاعتذر ولو كان صادقًا خوفًا منه وتعظيمًا، ولو طُلب منه أن يحلف بالله لبادر غير مبالٍ ولو كان كاذبًا، يبرر ذلك فيقول: الله سبحانه وتعالى غفورٌ رحيم يغفر ويرحم وأما الشيخ فلا يرحم، لو حلف بشيخه كاذبًا فالشيخ لا يرحمه ينتقم منه حالًا في هذه الدنيا، إما يؤثر في عمره أو في رزقه أو في أهله أو في ولده، يخاف من تأثير الشيخ تأثيرًا سريًا، لا يخاف من الشيخ بأن يلطمه أو يطعنه أو يضربه، ولكن يخاف منه الخوف السري، هذا هو محل الشرك، ولو خاف الإنسان من إنسانٍ مثله أقوى منه أنه يضربه أو يقتله أو يفعل في ماله ما يريد هذا الخوف لا يعد شركًا، بل هذا من

الخوف الطبيعي، الخوف الذي يعد شركًا هو الخوف السري، هكذا يصبح الحلف بغير الله أحيانًا من نوع الشرك الأكبر، وهذا الأمر واقع.

ونحن عند ما نتحدث عن الشرك وأنواعه وفي تصحيح العقائد لا نتحدث عن أساطير الأولين، ولكن نتحدث عن الأمور الواقعية التي تقع يوميًا في صفوف المسلمين في كثيرٍ من الأقطار جهلاً منهم، والذي يحملهم على جهل هذا الأصل -وهو أصلٌ لا ينبغي أن يجهله مسلم- ولكن الحامل لهم على الجهل وجود بعض من ينتسب إلى العلم ويتساهلون بهذا النوع ويشغلون فراغ الناس بتعليمهم العلوم الثانوية غير الضرورية، ويهملون العلم الضروري، الذي لا يُعذر أحدٌ بجهله، علم أصول الدين، علم تصحيح العقيدة، ما يتعلق بالمطالب الإلهية، ما يتعلق بالنبوات، ما يتعلق بتصحيح العبادة، ما يتعلق بالغيبيات، هذا النوع يسمى العلم الضروري الذي لا يُعذر أحدٌ رجالًا ونساءً في جهله، ولكن أكثر الناس يجهلون هذا النوع، وربما لا يجهلون الفروع، ولكن يجهلون الأصول، هذه من دواعي اختياري لهذا الموضوع بالحديث؛ لأني -كما قلت- في مطلع حديثي: نعيش في وقتٍ كثر فيه الاختلاط بسبب هذا الانفتاح، وهذا الاختلاط إما أن يؤثر فينا أو أن نؤثر فيهم، أي القادمون الوافدون لا بد بطبيعة الحال من أحد أمرين؛ إما أن يتأثر بهم شبابنا فيقلدوهم في عقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم فيضلوا، أو يؤثروا فيهم فيكونوا سبب هدايتهم، هذا الموقف موقفٌ خطير، وعلينا مسؤولية أمام الله في هؤلاء القوم الذين يعيشون بيننا من مختلف الأجناس. فالعقيدة في باب إفراد الله تعالى بالعبادة وعدم الإشراك به هو الأساس وهو دعوة كل رسول، ما من رسولٍ إلا وقد افتتح دعوته بهذا المفتاح.

وأما ما يتعلق بتوحيد الربوبية؛ أي إفراد الله تعالى في أفعاله، في خلقه ورزقه وإحيائه وإماتته، وفي تدبير شؤون العباد، هذا النوع من التوحيد نوعٌ لم يقع فيه اختلافٌ قط بين الأنبياء وأتباعهم، وبين المصلحين فيما مضى. وفي الوقت الحاضر، اللهم إلا ما قد يظهر من بعض الماركسيين والعلمانيين الذين يتنكرون للدين تنكرًا شاملاً، فربما أنكروا وجود الله

تجاهلاً لا جهلاً، هذا القسم من التوحيد بأسلوب القرآن إنما يُدرك ليكون دليلاً على التوحيد الأول؛ أي من باب الإلزام من وحّد الله في ربوبيته ألزمته بذلك ليوحده في عبادته، هذا من باب الإلزام والاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة.

وأما توحيد الأسماء والصفات فهو أيضًا لم يكن محل اعتراضٍ وخصومةٍ بين الأنبياء وأتباعهم، ولكن هذا القسم من التوحيد كان محل سكوتٍ عنه عند كثيرٍ من أتباع الرسل، أي لم يناقشوا الرسل في أسماء الله تعالى وصفاته، ولكن أصبح الآن محل معركة ومحل خصومة بين أتباع السلف وبين الخلف، فإذا كان المسلمون قد انقسموا بعد الأئمة الأربعة إلى المذاهب الأربعة في الفقهيات ولكنهم انقسموا في باب توحيد الأسماء والصفات إلى فريقين: السلف والخلف.

وأما السلف فالسلف كل من سبقك من آبائك وأجدادك ومشايخك، كلهم يعتبرون سلفًا، فسلفنا الصالح السلف الأول هم الصحابة، ثم التابعون، وعلماء تابعي التابعين، بما في ذلك الأئمة الأربعة، هؤلاء هم السلف، أما الآن فإذا قيل: فلانٌ سلفي والياء ياء النسبة؛ فهو منسوبٌ إلى السلف، ليس هو من السلف من حيث التاريخ والواقع التاريخي والزمن ولكنه سلفي العقيدة أي منتسبٌ إلى السلف الأول في عقيدته، متبعٌ لهم، متأسٍ بهم، ينهج منهجهم.

أما الخَلَف هو في الأصل خلْفٌ؛ ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ [مريم: ٥٩]، خلْف بالسكون، لكن قد يقال: خلَف، يقال لهم: خلْف ويقال لهم: خلَف، وهم: كل من جاء بعد من سبقه وخالفه، ولم يتأسَ به، وهذا التقسيم إلى خلف وسلف وتسمية بعض الناس بالسلفيين وبالأثريين وبأهل السنة والجماعة هذا اصطلاح، متى عُرف هذا الاصطلاح؟ بعد أن نشأ علم الكلام وانقسمت الناس في هذا الباب أقسام، قسمٌ تمسكوا بما كان عليه الصحابة والتابعون، ولم يحيدوا عن الجادة، فقيل: هذا سلفيٌ أو أثريٌ أو من أهل السنة والجماعة، أي لم يغير ولم يبدل ولم يخالف من سبقه، وأما من درسوا علم الكلام

وهو ما يسميه أشاعرة اليوم بعلم التوحيد، وهو ليس علم التوحيد ولكنه علم الكلام، من درسوا علم الكلام فعلم الكلام خليطٌ من الفلسفة اليونانية ومن قواعد منطقية تعتمد على العقل دون النقل، من درسوا هذا المنهج الخلفي وتأثروا به زهدوا في منهج السلف، واستخفوا به، وزعموا أنهم أعلم من السلف، لأن السلف لم يتكلموا في تأويل نصوص الصفات، بل أمروها كما جاءت، واتفقوا على القول: أمروها كما جاءت دون تكييف، ولما جاء الخلف فأولوا هذه النصوص تأويلاً يخرجون به عن ظاهر النص أو نفوا الصفات بدعوى التنزيه، أو نفوا الصفات والأسماء معًا مبالغةً في التنزيه، قيل لهؤلاء: هم الخلف، وهم مذاهب، لعلي لا أُغرِب إذا قلت: هم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، والإغراب حاصل لأن كثيرًا من الحضور غير دارسين لهذه الطوائف، وقد يكون كلامًا غريبًا عليهم، لكن بالنسبة لطلاب العلم ينبغي أن نذكر لأن العقيدة وإن انقرضت بالنسبة للجهمية مثلاً أصحابُها ولكنها موجودةٌ ومنتشرةٌ في كتب الأشاعرة والمعتزلة الموجودة في أيدي شباب العلم. هذه العقيدة أصحابها هم الذين يسمون بالخلف.

إذًا المسلمون اليوم يعيشون إما على منهج السلف الصالح، أو على منهج الخلف المخالف لما كان عليه السلف الأول، فعلى طلاب العلم اليوم أن يدرسوا هذه العقيدة دراسة فاحصة ولا يعتبروها أمرًا ثانويًا، وإن كان فيما مضى.قبل الانفتاح قد يعتبر التبحر في العقيدة ومعرفة الشبه ورد تلك الشبه أمرًا ثانويًا أو علمًا إضافيًا، ولكن اليوم لوجود الأسباب التي تدعو إلى الدراسة والتبحر فيها ومعرفة الشبهات والقدرة على ردها فأمرٌ واجبٌ وجوبًا عينيًا على كل مسلمٍ دارسٍ قادر على ذلك، والناس تتفاوت؛ أما عوام المسلمين فيكفي في حقهم أن يعرفوا بالجملة إن الله تعالى موصوفٌ بالكمالات ومنزهٌ عن النقائص، دون خوضٍ في التفاصيل، وأما طلاب العلم يجب عليهم أن يدرسوا دراسة فاحصة فيفرقوا بين المنهجين المنهج السلفي والمنهج الخلفي.

أما المنهج السلفي فيمثله منهجكم الذي تدرسونه في جامعاتكم، ليس بغريبٍ عليكم، هذا المنهج يدرسه شبابنا بدءً من المرحلة الابتدائية وانتهاءً إلى الدراسات العليا، وهذا مما نحمد الله عليه، ومع حمدنا وشكرنا لله على ذلك يجب أن نحافظ على هذا المنهج دراسةً وعملاً ودعوةً وتبليغًا، هو المنهج الوحيد الموجود في هذه الأرض والمعدوم في كثيرٍ من الأقطار، إلا ما كان من الانتشار الجديد في الوقت الحاضر بدءً من هذا البلد بواسطة الدعاة الذين تخرجوا من الجامعات الإسلامية السعودية الذين ابتُعثوا إلى الخارج للدعوة إلى الله وتعليم الناس دين الله، أولئك قد نشروا في تلك الأقطار، فالعقيدة السلفية اليوم منتشرةٌ في أمريكا وأوروبا ودول أفريقيا شرقًا وغربًا، وآسيا، وفي جميع القارات بحمد الله تعالى، الدعوة تسير في هدوءٍ وصمت، ودون جعجعة، دعوة عملية ليست دعائية، وهي تسير سيرًا حثيثًا في هدوءٍ وصمت، وإذا كانت بحمد الله تعالى قد خرجت تغزو قلوب العباد في جميع القارات فعلى شبابنا أن يعتبروا أنفسهم هم الدعاة الذين نشروا تلك العقيدة في تلك الأقطار، وأن ينشروا بين الوافدين عليهم هنا، وألا يتساهلوا في أمرها دراسةً وعملاً ودعوةً وتبليغًا، هذا المنهج ليس بغريبٍ عليكم لأشرحه لكم، وهو الموجود بين أيديكم بدءً من الأصول الثلاثة الكتاب المقرر أو الملخص من هذا الكتاب في المرحلة الابتدائية، الذي يدرسه أطفالنا –بحمد الله تعالى– إلى الدراسات العليا.

وأما منهج الخلف قد يستغرب بعض الناس عن وجوده، هل موجودٌ في أرضنا وبين أيدينا وفي أيدي شبابنا؟ الجواب: نعم موجود، أين يوجد؟ هل يُدرس؟ قد يُدرس وأنتم لا تشعرون، قد تدرسونه ويُملى عليكم وأنتم لا تعلمون ما هو، من ذلك عقيدة الجبر التي استمعت إلى شريطٍ في هذه العقيدة يملي الدكتور المدرس على بعض طلابنا أو طالباتنا في بعض الجامعات يملي عليهم عقيدة الجبر والطلاب لا يعلمون هذه العقيدة، كأن يقول الأستاذ: الله سبحانه وتعالى هو الفاعل والعبد لا فعل له، أي إن العبد مجبورٌ في كل ما يفعل، الفاعل الحقيقي هو الله، ويستدل الأستاذ بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، فيقول الأستاذ وهو يشرح: ألا ترون بأن الله قد نفى الرمي عن

النبي صلى الله عليه وسلم، إذًا الله هو الرامي، فالنبي ليس برامٍ، فصار الله هو الفاعل والنبي لم يفعل شيئًا، إن كان الأستاذ يقول هذا الكلام معتقدًا بصحته فهو أجهل من الطلاب الذين يقف بين أيديهم، وإلا فهو مغالط، والآية كما ترون تنفي رميًا وتثبت رميًا، (وما رميت) هذا نفي، (إذ رميت) هذا إثبات. إذًا هنا رميٌ منفي ورميٌ مثبت، يجب أن يبين الأستاذ نوع الرمي المنفي ونوع الرمي المثبت، ليكون بذلك العبد فاعلٌ باختياره وبقدرته وبإرادته وليس بمجبور، وما رميت إذ رميت أي: إنك أيها النبي الكريم عند ما ألقيت الرمل والتراب في وجوه الأعداء إنما رميت الرمي اللائق بك ولكنك لم ترمي النوع الثاني من الرمي، الرمي له بدايةٌ ونهاية، البداية من عند رسول الله والنهاية من عند الله، عند ما رمى النبي عليه الصلاة والسلام التراب في وجوه الأعداء الذي فرق ذلك التراب القليل الذي رماه النبي عليه الصلاة والسلام بكفه في وجوه الأعداء فأصاب أعينهم وأثر ذلك فيهم وكان سبب هزيمتهم، من هذا الفاعل؟ هو الله، أما فاعل الرمي الأول فهو رسول الله عليه الصلاة والسلام.

إذًا الآية لم تنفِ الرمي مطلقًا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما نفت عنه نوعًا من الرمي، فأثبتت له نوعًا من الرمي، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: ١٧]. هل يمكن أن نقول للمصلي، أو نقول لإنسانٍ: وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى؟ يمكن أن يقال هذا؟ وما صمت إذ صمت ولكن الله صام؟ هذا باطل، وما بعده من الأمثلة التي لا نستطيع أن ننطقها أشد بطلانًا، كالسرقة والشرب، الذي يسرق من هو؟ والذي يشرب من هو؟ الذي يظلم من هو؟ العبد، وهل يمكن أن ننسب هذه الأفعال إلى الله؟ ونبرئ العبد من الظلم ومن شرب الخمر ومن السرقة؟ إذًا لماذا قطعنا يد السارق؟ وضربنا ظهر الشارب؟ لماذا وهو لم يسرق؟ من الذي سرق؟ هل يستطيع أن يقول الأستاذ الجبري أن الذي فعل ذلك هو الخالق لا العبد؟ لن يستطيع إن كان في قلبه إيمان، لن يستطيع أن ينطق بهذه الكلمة، التي هي من أصعب الأمثلة على ألسنة الموحد الذي يخاف الله.

هذه العقيدة التي تسمى عقيدة الجبرية (عقيدة الجبر) دخلت على طلابنا في بعض جامعاتنا وكلياتنا، وهم لا يشعرون أنها عقيدةٌ منحرفةٌ من عقائد أهل الكلام.

ومما دخل أيضًا حتى على العوام عقيدة الإرجاء؛ الإرجاء معناه التأخير؛ تأخير الأعمال عن مسمى الإيمان، الإيمان كما عرفنا في مطلع الحديث يتألف من قولٍ وعملٍ واعتقاد، ومن يعتقد أن الإيمان هو في القلب فقط، أو أن الإيمان هو النطق باللسان، وأن الأعمال وأن امتثال المأمورات واجتناب المنهيات ليست من الإيمان في شيء فهو مرجئٌ من حيث لا يشعر، وهذه العقيدة (عقيدة الإرجاء) انتشرت بين الدارسين بواسطة دراستهم للعقيدة الأشعرية والعقيدة الماتريدية، العقيدة الأشعرية منتشرة في جميع المناطق التي تنتشر فيها بعض المذاهب الفقهية كمذهب الإمام الشافعي ومذهب مالك، والعقيدة الماتريدية تنتشر حيث ينتشر مذهب الإمام أبي حنيفة؛ أي المسلمون في القارة الهندية يعيشون على عقيدة الماتريدية، لانتشار مذهب أبي حنيفة في المنطقة، فهي ملازمةٌ لهذا المذهب، والأشعرية تنتشر في المناطق التي ينتشر فيها الشافعية والمالكية وقليلٌ من الحنابلة، وإن كان الحنابلة بسبب اشتغال الإمام أحمد بتصحيح العقيدة وهو من المجددين لم يصابوا بهذه العقائد إلا النذر القليل منهم الذين تأثروا بالجوار، وإلا كان كثيرٌ من الناس يسمون من ينهج منهج السلف في فترةٍ من الفترات (حنابلة) نسبةً إلى الإمام أحمد بن حنبل الذي قام بتجديد هذه العقيدة في عصر المأمون العباسي ومن بعده.

الشاهد: إن عقيدة الجبر وعقيدة الإرجاء وعقيدة نفي الصفات وعقيدة تحريف نصوص الصفات منتشرةٌ اليوم في كثيرٍ من جامعاتنا، من حيث لا يشعر شبابنا، لأن الأستاذ الوافد الذي درس هذه العقيدة معتقدًا بأنها عقيدة أهل السنة والجماعة يعرضها ويدرسها مطمئنًا ظنًا منه بأنها عقيدة أهل السنة والجماعة، والشباب حيث لم يعرفوا إلا الخير، نشأوا في الخير ولم يعرفوا الشر يتقبلون ذلك.

لهذا أكرر دائمًا أمام شبابنا أنهم يصدق عليهم قول عمر رضي الله عنه: إنما تُنقض عرى الإسلام عروةً عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية. معرفة الجاهلية ومعرفة سبيل المجرمين كما تعلم سبيل المؤمنين والمسلمين أمرٌ مهمٌ جدًا، وأن الإنسان الذي نشأ في الخير ولا يعرف الشر يُلبّس عليه كثيرًا كما هو واقع كثيرٍ من شبابنا، الذين لُبس عليهم كثيرًا، فأصبحت العقيدة غريبة عندهم، ويطمئنون إلى التأويل والتحريف تأثرًا ببعض الأساتذة الذين درسوا هذه العقيدة في كثيرٍ من الأقطار، ثم جاؤوا لينشروها.

هذا المعنى وما في معناه من الملاحظات التي ألاحظها في شبابنا هو الذي جعلني أهتم دائمًا بالكلام حول العقيدة، وهو الذي جعلني اخترتُ هذا العنوان لحديثي معكم في هذه الليلة، وإن كان كثيرٌ منكم قد لا يدرك مدى خطورة هذه العقيدة على نشئنا وشبابنا، فشبابنا –كما قلت– نشأوا في الخير ورضعوا العقيدة مع لبن الثدي، لو لا هذا الانفتاح وما حصل من الاختلاط لا يُخشى عليهم، ولكننا اليوم نخشى عليهم كثيرًا؛ لذلك نحرص كل الحرص على الكلام حول العقيدة، ودراسة العقيدة، علمًا بأنه لا ينبغي إهمال الجوانب الأخرى كالعبادة والمعاملات والاقتصاد والسياسة، وجميع الأبواب التي يحتاجها الإنسان في هذه الحياة، هذه الجوانب كلها لا تُهمل، ولكن الاشتغال بها مع إهمال العقيدة ليس من النصح، النصح يتطلب أن نبدأ بالأهم قبل المهم، وليس لأحدٍ أن يقول بعد هذا الشرح: وهل نحن بحاجةٍ إلى العقيدة حتى يُتحدث فينا بالعقيدة وحتى تُقرر العقيدة عندنا؟ الجواب: إننا الآن مع هذا الانفتاح بحاجةٍ ماسةٍ إلى دراسة العقيدة وإلى تصحيح العقيدة، وإلى تقوية العقيدة وصيانة العقيدة، أهم أكثر من كل وقتٍ مضى.

سبق لي ذات مرة أن تحدثت في مسجدٍ من المساجد، فطالت المحاضرة ولم أتمكن من الإجابة على كثيرٍ من الأسئلة، فضاعت تلك الأسئلة أو أكثرها، تفاديًا لذلك أكتفي بهذا المقدار من الكلام لأتمكن من الإجابة على بعض الأسئلة، لعلكم إلى الإجابة على أسئلتكم

أحوج منكم إلى سماع الكلام الكثير، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه محمدٍ، وآله، وصحبه.

س: سألني شابٌ قبل المحاضرة سؤالين اثنين، السؤال الأول يتعلق بابن عربي.

ج: ابن عربي هكذا بدون (أل) التعريف، وهناك ابن العربي بالتعريف، ابن العربي المعرف عالمٌ سنيٌ مالكيٌ وإن كان لا يخلو من تأويل بعض الصفات ولكنه لا يعد من المبتدعة، وفرقٌ بينه وبين ابن عربي المنكَّر.

ابن عربي هذا هو رئيس وحدة الوجود، ووحدة الوجود فرقةٌ تنتهي إليها المتصوفة، أي إن المتصوفة العادية المنتشرين بين المسلمين اليوم من الطرق الصوفية كالقادرية والتيجانية والمرغنية والأحمدية وغيرها كلها تصبو لتصل ما وصل إليه ابن عربي، ابن عربي إلى أي شيءٍ وصل؟ إلى التحلل من الإسلام، والخروج على ما جاء به محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وادعاء أنه قد استغنى عن الشريعة بالحقيقة، وقسم الدين إلى شريعةٍ وحقيقة، الشريعة ما جاء به رسول الله واشتمل عليه كتاب الله، والحقيقة في زعمه وأمثاله تلك المزاعم التي يزعمون أنهم يأخذون من اللوح المحفوظ مباشرةً دون حاجةٍ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي مستغنون عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، يسمون هذه هي الحقيقة، ويسمون علم الباطن، مجرد هذا الاعتقاد؛ أي اعتقاد أن لأحدٍ أن يستغني يومًا ما عن الدين الذي جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام مجرد هذا الاعتقاد ردةٌ عن الإسلام؛ ذلك يتنافى مع قول: أشهد أن محمدًا رسول الله، من يؤمن بأن محمدًا رسول الله يجب أن يأخذ علمه ومعرفته وإيمانه مما جاء به محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأما من اعتقد أنه شق له طريقًا آخر إلى الله من غير أن يمر على طريق رسول الله عليه الصلاة والسلام وأنه يستغني عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فهو مرتدٌ كافر.

الطالب الذي سألني يقول: من أهل العلم من كفره، ومنهم من توقف فيه، الجواب في مثل هذا: ترجع إلى القاعدة، لا تنظر إلى قول قائل، القاعدة: الإيمان برسول الله عليه

الصلاة والسلام، ما معنى الإيمان برسول الله عليه الصلاة والسلام؟ تصديقه فيما أخبر، والانتهاء عن ما نهى عنه وزجر، وأن تعبد الله بما جاء به، وألا تعبد الله بغير ما جاء به، أي لا تدّعي الاستغناء عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في عقيدتك وعبادتك، ومن زعم الاستغناء نقض هذا الزعم وهذا الاعتقاد قوله: أشهد أن محمدًا رسول الله.

إذًا عقيدة ابن عربي تناقض أشهد أن محمدًا رسول الله. فإذا انتقض هذا الجزء من الشهادة انتقض الجزء الأول: أشهد أن لا إله إلا الله؛ لأن الشهادتين وإن كنا نسميها شهادتين لكنهما بمثابة شهادةٍ واحدة؛ أي أن الجزء الأول (أشهد أن لا إله إلا الله) لا يغني عن الجزء الثاني، كما أن الجزء الثاني لا يغني عن الجزء الأول، لا بد لصحة الإيمان أن تجمع بين الجزءين، وبين المعنيين؛ إفراد الله تعالى بالعبادة وتجريد المتابعة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لذلك كله ابن عربي كما يقول تقي الدين ابن تيمية: أتى من الكفر بما لم يأتِ به مشركو قريش، لأن مشركي قريشٍ لم يدَّعي واحدٌ منهم؛ أبو لهبٍ ولا أبو جهلٍ أنه مثل الله، فضلاً أن يدعي أنه هو الله، وابن عربي ادَّعى أنه هو الله، فيقول: ليس في الجبة إلا الله، الذي في جبة ابن عربي هو الله، لأن الله اتحد معه، ابن عربي هو القائل: وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهبٌ في كنيستي.

وابن عربي هو القائل: العبد ربٌ والرب عبدٌ ليت شعري من المكلف؟ اتحدت الدنيا كلها من دين ابن عربي نفي الاثنينية أي الوحدة الكاملة، الوجود كله وحدةٌ واحدة، لا اثنينية في الوجود. وهل هذا يتفق مع أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؟ لا، إذًا ابن عربي كافرٌ مرتد، ومن أراد من باب (ليطمئن قلبي) أن يطلع على نقول ابن عربي عليه أن يبدأ أولًا بكتاب هذه هي الصوفية للشيخ عبد الرحمن الوكيل المصري، ومنه ينتقل إلى كتاب مصرع التصوف للبقاعي من علماء القرن السابع الهجري، وإذا شبع من هذه النقول وأراد أن يطلع على المراجع الأصلية له فله أن يقرأ في الفتوحات المكية لابن عربي

وخصوص الحِكم له، بعد قراءة هذه الكتب يضطر اضطرارًا دون أن يسأل أحدًا بأن يحكم عليه بأنه مرتدٌ ردة إذا مات عليها فهو من أهل النار والجنة حرامٌ عليه، ونحن لم نعلم بأنه تاب، وآخر من ناقشه وكتب عنه شيخ الإسلام ابن تيمية الذي ناقش جميع الفرق وحكم على جميع الفرق بما تستحق، فأشبع الموضوع، هذا ابن عربي، وإذا توقف بعض أهل العلم في أمره إنه يُعذر لعله لم يطلع على حقيقة حاله، والله أعلم.

السؤال الثاني للطالب في ابن حزم.

أبو محمد بن حزم الأندلسي العالم الجليل المحدث الكبير، الأصولي المتكلم، المضطرب في عقيدته، بينما يضرب أحيانًا في عقيدة الأشاعرة وأحيانًا في عقيدة الاعتزال وأحيانًا في عقيدة أهل السنة والجماعة، يفعل كل ذلك ابن حزمٍ بحثًا عن الحقيقة، كما يعلم ذلك من درس مقدمة المحلاة، تجد الرجل يحرص كل الحرص أن يستدل بالكتاب والسنة على ما يعتقد، قد يصيب وقد يخطئ، ولم يوفق أستاذًا سلفيًا يوجهه، بل كان علمه من بطون الكتب ومن فكره وذكائه، لذلك ننصح بهذه المناسبة بعض الشباب الذين يريدون أن يعتمدوا على الكتب وعلى ذكائهم وفطنتهم، ويحاولون الاستغناء عن المشايخ والمدرسين إنهم يخطؤون، ويُخشى أن يقعوا فيما وقع فيه ابن حزم، لأن ابن حزمٍ مع علمه الكثير واطلاعه الواسع لم يوفق في باب العقيدة كما وُفق في باب الدعوة إلى تجريد المتابعة لرسول الله عليه الصلاة والسلام، ومحاربة التقليد الأعمى، في هذا الباب قلَّ نظيره، ولكنه في باب الأسماء والصفات تخبط ابن حزم خبط الناقة العشواء يصعد فينزل، ولم يهتدِ إلى الصواب؛ من ذلكم ينكر ابن حزم أن يقال: صفة الله، وإنما يقال: الأسماء الحسنى، أما الصفة فيرى أنها غير واردةٍ في الكتاب والسنة، ولم يطلع أبو محمد على ما ورد في قصة سورة الإخلاص، التي ورد في السنة بأنها صفة الله، في قصة الرجل الذي كان يصلي بالناس وبعد أن يقرأ فاتحة الكتاب وسورة أو ما تيسر من القرآن يختم ذلك بقراءة سورة الإخلاص، فشكاه الناس إلى رسول الله فقال: "إنما يفعل ذلك لأنه يحب هذه السورة لأنها صفة الله"، فهذا

دليل على إثبات لفظ الصفة في حق الله تعالى، هذا الذي عليه السلف والخلف قاطبةً وأنكر ذلك ابن حزم، وشدد في ذلك.

ومن الأمثلة فهمه رحمه الله، وكثيرٌ من الناس ينكرون الترحم عليه، وأنا أترحم عليه فأقول: قال ابن حزمٍ رحمه الله: إن قوله عليه الصلاة والسلام: **"إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائةً إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة"**، فهم ابن حزمٍ من هذا الحديث أن أسماء الله منحصرةٌ في هذا العدد خلاف ما كان عليه علماء أهل السنة قاطبةً، وإن كان قد شذَّ وخالف بعضهم كما فعل هو، استدلالًا منهم بالحديث الصحيح: **"اللهم إني أسألك بكل اسمٍ هو لك، سميتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك"**، هذا الدعاء دل على أن من أسماء الله تعالى ما لا يعلمه إلا الله، إذًا الحديث الذي فيه ذكر (تسعة وتسعين) معناه أن لهذا العدد ميزة أن من حفظها وعرف معناها وعمل بمقتضاها وتعبد الله بها يدخل الجنة، بخلاف الأسماء الأخرى، وهناك أسماء لا يعلمها إلا الله، هذا الذي فهمه علماء أهل السنة، وابن حزمٍ في هذا المقام تشدد أكثر من اللازم فقال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مائةٌ إلا واحدة"**، من زاد اسمًا واحدًا وأكمل مائة فقد كذب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن كذب رسول الله عليه الصلاة والسلام فهو كافر، هكذا قطع على نفسه خط الرجعة، وهذا التشدد هو الذي جعل كثيرًا من طلبة العلم يسيئون به الظن إلى درجة أنهم لا يرون الترحم عليه.

وأنا أقول مستأنسًا بما ذهب إليه تقي الدين بن تيمية أن كثيرًا من الفضلاء والعلماء قد أخطأوا في باب الأسماء والصفات، مجتهدين ولهم مجهودٌ كبير في خدمة الدين وفي خدمة السنة، وأنهم يُعذرون لأنهم اجتهدوا في فهم النصوص فأخطأوا، وأنهم وقعوا فيما وقعوا فيه بحسن نية، بمحاولة العمل بالكتاب والسنة لا بمحاولة الخروج على الكتاب والسنة، فرقٌ بينهم وبين الجهمية، أما الجهمية فيرون إن الواجب الاكتفاء بالدليل العقلي، ولا يجوز

الاعتماد على الدليل النقلي من الكتاب والسنة وإنما تُذكر أدلة الكتاب والسنة من باب الاستئناس لا من باب الاعتماد عليها.

إذًا فرقٌ بين من يخطئ وهو يحاول الاستدلال بالكتاب والسنة والعمل بهما، وبين من يعرض عن الكتاب والسنة ويخرج عليهما، يجب أن نفرق بينهما، وابن حزم من الذين أخطأوا وهم يحاولون العمل بالكتاب والسنة والاستدلال بهما في باب الأسماء والصفات، ولم يدَّعِ الاستغناء بالدليل العقلي، وما قيل في ابن حزمٍ رحمه الله يقال في الإمام النووي وفي البيهقي، وفي الحافظ بن حجر، وكثيرٍ من علماء الحديث الذين تأثروا بالبيئة التي نشأوا فيها، فوقعوا في تأويل بعض النصوص، رحمهم الله، وتقبل منهم مجهودهم وخدمتهم للسنة، فيُرجى أن يُعذروا، وهذا هو المذهب المختار الذي اختاره تقي الدين بن تيمية فهو الخبير بهذه الطوائف، لأنه في القرن السابع الهجري ظهر فجأةً ووجد هذه الفرق مجتمعةً، فهاجمهم كلهم، وصدع بالحق وانتصر لمنهج السلف، فأوذي في ذلك، وجدد عقيدة السلف، ومع ذلك كله يعذر أمثال هؤلاء، وفيما أعتقد أن الحق معه ويُعذر هؤلاء ويُترحم عليهم، وبالله التوفيق.

س: ورد لي سؤالٌ عن المولد.

ج: وهذا السؤال ينبغي التحدث عنه، المولد لما سألت بعض الحضور سماه بدعة، بدون تردد، ومنهم من قال: المولد، والخلف لفظي وليس بجوهري، أي إن الشباب المستقيمين الملتزمين يبرون أي عملٍ أُحدث في الإسلام ولا أصل له أنه عملٌ مبتدع، إذا اعتقد الفاعل بأنه عملٌ صالح يثاب عليه.

فرقٌ بين الأمور المحدثة في الدنيا في أمور الحياة، كالطائرات والصواريخ وغير ذلك، وبين ما يُحدث في الدين باسم الدين وباسم العبادة، كل ما يُحدث في الدين باسم أنه من الدين وباسم أنه عبادة هذا يتنافى مع قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، الدين تم وكمل، في حجة الوداع، يوم

الجمعة، فالنبي عليه الصلاة والسلام بعد أن نزلت عليه هذه الآية وخطب في الناس تلك الخطبة البليغة شرح فيها كل شيء، قال للصحابة: أنتم مسؤولون عني ماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد بأنك بلغت ونصحت، ونحن نشهد مع الصحابة بأن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بلغ البلاغ الكامل، لم يكتم شيئًا مما أُمر بتبليغه، ولم يترك هذا الدين ناقصًا، بل دعا الناس ودلهم إلى خير ما يعلمه لهم، كما قال عليه الصلاة والسلام: **«ما من نبيٍ أُرسل إلا دعا أمته إلى خير ما يعلمه لهم، ونهاهم عن شر ما يعلمه لهم»**، هكذا فعل رسول الله عليه الصلاة والسلام وكمل الدين.

فإذا جاء الفاطميون بعد انقراض الصحابة والتابعين، بل بعد الأمويين والعباسيين جميعًا ابتدعوا في القاهرة بدعةً تسمى الاحتفال بالمولد، أي أن أبا بكرٍ الصديق الذي لا يدعي أحدٌ أنه يحب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أكثر منه، ثم عمر، ثم عثمان ثم علي، ثم جميع الصحابة والتابعين، وخلفاء المسلمين في عهد الأمويين والعباسيين لم يحتفل أحد منهم بيوم مولد النبي عليه الصلاة والسلام، ولا بليلة معراجه، ولا بيوم الهجرة، ولا بيوم بدرٍ، بأي مناسبةٍ من هذه المناسبات الكثيرة في الإسلام، ولكن الفاطميين الذين سموا أنفسهم بالفاطميين وهم عبيديون، ليسوا بفاطميين، انتسبوا إلى هذا النسب العالي فأرادوا أن يرفعوا من شأن هذا النسب المزيف، بم يرفعوا من شأنه؟ بأن يخترعوا الاحتفال بالمولد النبوي، وتوسعوا في ذلك فصاروا يحتفلون بمولد النبي عليه الصلاة والسلام، ثم مولد عليٍ، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد فاطمة رضي اله عنهم جميعًا، ثم بمولد الخليفة الفاطمي الحاضر في ذلك الوقت، ست احتفالات في القاهرة باسم الاحتفال الإسلامي، ويسمى الآن المناسبات الإسلامية والاحتفالات الإسلامية، لا يوجد في الإسلام احتفالٌ تعبدنا الله به، لا يوجد أصلاً احتفال يسمى دينًا ويسمى عبادة، ومن ادعى أنه وُجد احتفالٌ وهو من الدين -والدين ما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام- فعليه بالدليل.

وُلد النبي عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين، ودعانا أن نصوم يوم الاثنين، لأنه يومٌ وُلد فيه، هذا كل ما جاء. وهل يجوز أن نستدل بمشروعية صيام يوم الاثنين لأنه يوم وُلد فيه أن نحتفل في ذلك اليوم لأنه يومٌ وُلد فيه؟ معناه تغيير وتبديل، لا يجوز، ومرت السنوات بعد أن وُلد النبي عليه الصلاة والسلام في حياته ولم يحتفل، ومرت سنوات على أبي بكر ومن بعده من الصحابة ثم التابعين وأئمة المسلمين وخلفاء المسلمين ولم يحتفلوا، وليس الفاطميون يحبون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، إذًا بدعةٌ فاطميةٌ يعترف بها كثيرٌ من أهل المنطقة، يعتزون بأن الناس تبعٌ لهم في هذه البدعة، إذًا هذه بدعة.

س: ما هو منهج السلف في نصوص الصفات، (وهو السميع البصير)، (الرحمن على العرش استوى)، (ينزل ربنا في آخر كل ليلة)، إلى غير ذلك من نصوص الصفات، ما الواجب، هل الواجب التفويض وهل الواجب الإضراب، وهل الواجب النفي، أم الواجب التأويل؟

ج: أربعة مذاهب، عند الجهمية والمعتزلة الواجب نفي الصفات والأسماء معًا عند الجهمية، ودعوى إثبات الأسماء عند المعتزلة مع نفي الصفات أي ذلك هو التوحيد أي توحيد الأسماء والصفات، أي تنزيه الله تعالى.

وعند الأشاعرة التفريق بين الصفات؛ ما كان من الصفات الفعلية كالنزول والمجيء والاستواء يجب تأويله، كذلك ما كان من الصفات الخبرية المحضة كفرح الرب سبحانه وتعالى ومحبته، ورضاه، وغضبه، يجب التأويل، وما كان من الصفات الذاتية كالقدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم والحياة يجب إثباتها على ظاهرها، هذا خلاصة مذهب الأشاعرة والماتريدية معًا، أين الصواب؟ ليس في هذا ولا ذاك ولا الآخر.

الصواب ما هو؟ الصواب في العقيدة التي كان عليها الصحابة، عبر عنها علماء المسلمين من التابعين وتابعي التابعين بعد نشأة علم الكلام، حيث قالوا: يجب إمرارها كما

جاءت بلا كيف، الله سميع نعم سميع سمعًا يليق به، بصير بصر يليق به، ينزل في آخر كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر فأغفر له؟ نعم ينزل نزولًا يليق به لا كنزولنا، يجيء يوم القيامة لفصل القضاء؟ نعم، يجيء مجيئًا يليق به لا كمجيئنا، هل هو مستوٍ على عرشه؟ نعم كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة، على هذا مضى سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين إلى نشأة علم الكلام، وعلم الكلام الذي جاءنا بهذا التأويل والتحريف إنما نشأ في عهد العباسيين وبالتحديد في عهد الخليفة السابع من خلفاء بني العباس المأمون، الذي امتُحن كثيرٌ من أئمة المسلمين بدءً من عهده ثم في عهد المعتصم بالله، والواثق بالله، أي الخليفة السابع والثامن والتاسع، وأُفرج عن المسلمين في عهد المتوكل على الله الخليفة العاشر من خلفاء بني العباس الذي أُفرج في وقته عن الإمام أحمد وأمثاله. في هذا الوقت وما بعده سمع المسلمون ما يسمى بالتأويل، وما يسمى بنفي الصفات، وقبل ذلك إنما يقولون: أمروها كما جاءت بلا كيف.

إذًا العقيدة السليمة الصحيحة التي ندعو إليها ما كان عليه الصحابة عدم النفي وعدم التأويل وعدم التفويض. الذين يزعمون نحن نقرأ هذه النصوص ونعرض عنها ولا نتدبرها ولا نفسرها ولا نعلم معناها، أما أتباع السلف فيعلمون معاني النصوص، معاني النصوص معلومةٌ من الوضع العربي، الفعل (استوى) معناه معلوم، إذا تعدى بعلى معناه العلو، وإذا تعدى بإلى بمعنى القصد، معلومٌ لدى أي عربي، ومعنى جاء معلوم، ومعنى أتى معلوم، ومعنى ينزل معلوم، إذًا ما هو المجهول؟ كيفية المجيء، كيفية النزول، كيفية الاستواء، هذه هي المعاني المجهولة التي تُفوض إلى الله.

وتكون الخلاصة التفويض تفويضان: تفويض الكيفية وتفويض المعاني. الذي عليه السلف تفويض الكيفية والحقيقة مع معرفة المعاني، الذي يدعيه بعض الخلف من المفوضة

والواقفية تفويض المعاني وتجاهل معاني النصوص، وهذا ضلالٌ وغلط كالتأويل والنفي تمامًا.

س: ما يحصل بين الشباب أحيانًا من التحزب والتفرق والانتماءات الكثيرة إلى كثيرٍ من الجماعات والفرق المحدثة بين الشباب، ما حكم ذلك؟

ج: نصيحتي لشبابنا عدم الانتماء وعدم التحزب، والبقاء على منهجكم السلفي الذي تدرسونه في مدارسكم، ومعاهدكم، وجامعاتكم، الذي عليه سلفكم ومشايخكم، إياكم ثم إياكم التحزب والانتماءات إلى الجماعات المحدثة، هذا بالاختصار، فأرجو أن أتمكن في بعض الدروس عندكم هنا من القول والتوسع في هذه المسألة.

وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه محمدٍ، وآله، وصحبه.